

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أكرمنا بوسع كرمه، وتفضل علينا بخالص جوده وبرّه، وجعلنا أهلاً لنفحاته المباركة في هذه الليالي المباركة. اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على سيدنا محمد، السابق إلى الخلق نوره، والداعي إلى الله بالله على بيرة من ربّه، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من مشى على هداه، واتبع نهجه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين، آمين .. آمين، يا رب العالمين.

اليوم .. يوم السابع عشر من رمضان، في مثل هذا اليوم كانت غزوة بدر الكبرى، التي أعزّ فيها الله النبيّ والمسلمين وجنده وحزبه، وكان السلف الالح يحتفون بهذه الليلة - السابقة لهذا اليوم أو اللاحقة لهذا اليوم، لأنهما من الليالي المباركة - فإن الله عزّ وجلّ أنزل في هذه الليلة من السماء الملائكة الشداد، وفُتحت السماء، وآتت بالارض، وكانت إمدادات السماء تمل إلى خير أجناد الأرض من الله عزّ وجلّ في هذا اليوم المبارك الميمون.

والإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه يقول في كتابه (صيام أهل المدينة المنورة): من السلف من كان يُحيي الليلة السابقة ليوم بدر - التي كانت بالأمس، ومنهم من كان يحيي الليلة اللاحقة - أي هذه الليلة، قال: والأحوط للمؤمن أن يُحيي الليلتين ليفوز بالخير من الله عزّ وجلّ ويضمن فضل الله وإكرام الله. ونحن والحمد لله أكرمنا الله وأحيينا الليلة السابقة، وأعاننا الله بفضله ومنه على إحياء هذه الليلة، نسأله عزّ وجلّ أن يتفضل علينا فيها بنفحاته، وأن يجود علينا فيها ويعمنا بخيره وفضله وبركاته، وأن يجعلنا أجمعين من المشمولين برعاته عزّ وجلّ في كل وقت وحين.

أفاض أخي الأستاذ ناصر، وأسهب وفل في تفاصيل هذه الغزوة العظيمة. وفي الحقيقة أكرمه الله عزّ وجلّ فأحاط بها من جميع جوانبها - كما ورد في كتب السيرة الجليلة. وأنا أرى وجوهاً عليها سيما اللاح، وتظهر تقوى القلوب على نور الوجوه، ولعلنا ندخل في قول الإمام أبو العزائم رحمته:

إنا إذا خلونا حلونا فشرينا في القدس صافي المدام

ونحن نريد أن نأخذ بعض العظات والعبر لنا من هذا الحدث الجليل، وإن الله عزّ وجلّ ما ساق أخبار الأنبياء، وذكر أخبار الأولياء، و ذكر ما دار مع سيد الجند؛ جند سيد الرسل والأنبياء إ لناخذ فيها عند سماعها بقول ربنا عز وجل: (لَقَدْ كَانَ فِي قَهِمُ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (١١١ يوسف)، لذا نريد أن نأخذ عبرة من هؤلاء القوم، هؤلاء القوم وصلوا إلى مقام يقول فيه سيدنا جبريل للحبيب المطفى صلى الله عليه وسلم: (مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرِ فِيكُمْ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ)^١.

^١ صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع رضي الله عنهم

هؤء القوم بلغوا إلى مقام عندما هم الحبيب المطفى ﷺ بفتح مكة، وعم الخبر، وقال داعياً ربّه فأجابه: (اللهم خذ عنا الأعين حتى يتسمع بنا أهل مكة)²، فلم يدر أهل مكة إرسول الله ﷺ وصحبه الكرام على فجاج مكة على وشك الدخول.

وكان رجل من أصحاب النبي ﷺ من أهل غزوة بدر، وهو سيدنا حاطب بن بلتعة، وكانوا يُسمون من حضر غزوة بدر (بدرى)، ثلاثمائة وثلاثة عشر. هذا الرجل كتب رسالة إلى أهل مكة يُنبئهم فيها بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سيأتيهم بجند قبل لهم بها، وجاء بأمة عنده وأعطاهم الرسالة، وقال: إذا أوصلت هذه الرسالة لأهل مكة فأنت حرة، ففكت صفائر شعرها، ووضعت به الرسالة، ثم صفرت شعرها مرة أخرى حتى يفتن أحد إلى موضعها، وسارت، لكن الله عز وجل يُبيء حبيبه على الدوام بكل أمر له صلى الله عليه وسلم: (قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ) (٣التحریم).

فنزل أمين الوحي جبريل وأخبره بخبر هذا الرجل وجاريتته والرسالة التي أرسلها إلى أهل مكة، فاستدعى النبي ﷺ علي بن أبي طالب والزيد بن العوام، ونظر به بيرة النورانية فوجد المرأة في مكان يُسمى (روضة خاخ) خارج مكة، فقال: اذهبا إلى روضة خاخ، وستجدون امرأة هيئتها كذا وكذا، فخذنا منها هذه الرسالة واثبوني بها، فذهبا وعثرا على المرأة في الموضع الذي حدده صاحب البيرة النورانية الذي يقول فيه رب البرية: (أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَيْرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي) (١٠٨ يوسف). فقال لها: أخرجي الرسالة، فقالت: ما معي رسالة، فقال الإمام علي: والله ما كذبنا و كذبنا، فقالت: ليس معي شيء، قال: إن لم تُخرجي الرسالة لنعربنك ونفتشك، فلما وجدت صدقه فكّت شعرها وأخرجت الرسالة، فأخذ الرسالة وذهب إلى النبي ﷺ، واستدعى النبي ﷺ مُرسل الرسالة وهو سيدنا حاطب بن بلتعة رضى الله عنه.

وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان حاضراً، وكان عنده حمية للإسلام، فهو الذي قال لرسول الله في شأن أسرى غزوة بدر: (أَرَى أَنْ تُمَكِّنِي مِنْ فُلَانٍ قَرِيبًا لِي، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمْكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ، فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمْكِّنَ حَمَزَةَ مِنْ فُلَانٍ أَحِيهِ، فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَتْ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ)³. ليس عنده مجاملة في دين الله، لأن المجاملة لو دخلت في دين الله فقد ضاع الدين، لكن الدين بد أن يكون على هذه الوتيرة التي علمها لهم سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فقال عمر رضى الله عنه في شأن حاطب: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لحاطب: " مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ"، قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلاَّ لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "صَدَقَ وَ تَقُولُوا لَهُ إِ حَيْرًا"، فَقَالَ

² جاء في السيرة الحلبية: ثم قال: (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها)، أي وفي رواية قال: (اللهم خذ على أسمعهم وأب ارمهم فلا يرونا بغتة و يسمعون بنا إ فجأة).

³ مسند أحمد

عُمُرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ، فَقَالَ: (أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)٤.

هذا المقام الكريم، مقام الحفظ الإلهي، فالعامة للأتباع والحفظ للأولياء، والحفظ أن يحفظهم الله عز وجل من الوقوع في المفوات والزلات، والمعاصي والسيئات كما يحفظهم الله عز وجل من أوقات يقطعونها في الغفلات، بل دائماً داخلين في قول الله: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ وَالذَّاكِرَاتِ) (٣٥ الأحراب).

هذا المقام الكريم كلنا نتمناه، وكلنا نود أن نل إليه، لكن غزوة بدر حدثت مرة واحدة و تكرر، فهل توقف حول على هذا المقام فيما بعدها من الأيام؟ والله، في كل نفس، وفي كل زمان، وفي كل عصر وأوان، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يوصيهم الله عز وجل إلى هذا المقام، يقول فيهم الإمام أبو العزائم رضى الله عنه ونسأل الله عز وجل أن نكون منهم أجمعين: ((إذا أشرقت أنوار القرآن على قلبك فكل يومك يوم بدر، وكل ليلك ليل قدر)).

فليس يوم بدر هو يوماً واحداً في السابع عشر من رمضان، لكن كل يوم من أيام عمرتك يكون يوم بدر، وليست ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان فقط لكن كما قال سيدي أبو العباس المرسي رضى الله عنه وأرضاه: ((وما ليلة القدر؟، كل ليالينا ليلة قدر)). كل ليالي هؤلاء المقربين والالحين ليلة قدر، يرون فيها ما يراه أهل الفوز في ليلة القدر على الدوام.

كيف يبل الإنسان إلى هذا المقام؟! الآيات القرآنية كلها فيها إشارات سلوكية للسالكين بدق إلى رب البرية، وهؤلاء يقول لهم العارفون والوارثون والالحون: إذا قرأت القرآن فاقرأه على أنك المخاطب به غيرك، وكل ما ذكر فيه من حقائق فهي فيك، فأنت فيك كل العوالم العالمة والدانية:

أترعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر
وداءك منك و تشعر

ومعركة بدر كانت بين جند الحق وجند الباطل، ويوم الفرقان هو الذي أنته فيه الحق على الباطل، وأنت فيك معركة مستمرة أبد الأبد حتى تلت إلى مقام أهل بدر، ويفرق فيك بين الحق والباطل، وتكون من الأولياء أو الوارثين، وتُحفظ بحفظ رب العالمين عز وجل.

فيك من جند الباطل النفس الإبليسية، التي توسوس وتهمي للإنسان الخداع والحيل والمكر والدهاء، للوصول إلى ما يرجوه من عالم الدنيا.

وفيك النفس الحيوانية التي تسول لك الإقبال على الشهوات، وتجعلك دائماً مشغولاً بشهوة الطعام، أو شهوة الشراب، أو شهوة الجاه، أو شهوة النكاح، أو غيرها:

والنفس شهوة مطعم أو مشرب أو ملبس
أو منكح فاحذر بها الداء الدفين

٤ البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم

وفيك النفس الجمادية التي تريد أن تُجَمِّدَ عن الطاعات، وعن أعمال القربات، وتبرر لك اغتذارات، فتقول لك مثلاً: أنت اليوم متعب فلا داعي ل ملة التراويح، أو داعي ل ملة العشاء في المسجد في جماعة، وغير ذلك، وهذا عملها، تريد أن تُجَمِّدَ الإنسان فلا يتحرك نحو الله، أو نحو متابعة حبيب الله وم طفاه.

هذه نفوس موجودة في الإنسان، جيش اسمه جيش الردى، جيش الغواية: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِنَّ مَا رَحِمَ رَبِّي) (٥٣ يوسف) هو ء يتوقفوا لحظة.

وأنت معك جيش الحق، معك النفس الملكوتية، والتي تريد أن تجذبك إلى العوالم العلوية، ومعك الروح القدس التي يقول فيها الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

تجذب الروح الهياكل في ال فاعلى المنازل
إن أداروا الراح صرفاً أسكرت عالٍ وسافل

تريد أن تشدك للعوالم العلوية، وفيك القلب الذي يتقلب، والحرب كلها على ساحة القلب لأنه يتقلب، الفريق الأول يريد أن يتقلب على حسب أهواءهم وشهواتهم وحظوظهم، والروح والنفس الملكوتية يريدونه أن يتقلب بين يدي رب البرية، ومع الحضرة ا مدية، ودائماً أبداً محوطاً بالعمل بالشريعة الإلهية المرضية.

فالحرب دائرة دائماً، إذا انت ر الحق فيك على الباطل، فاليوم الذي يمرُّ عليك ولم تسمح لجند الباطل فيك بجولة .. جولة في المعاصي أو جولة في اكتساب الذنوب، أو جولة في الغفلة عن حضرة علام الغيوب، ونرت الروح والنفس الملكوتية والسرّ والخفا والأخفى وهذه العوالم النورانية، وعشت هذا اليوم وهذه الليلة مع كتاب الله في المناجاة مع حضرة الله، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حسن متابعته، والمداومة في ال ملة والتسليم والتبريك على حضرته، مع العلماء العاملين تتأسى بهم وتستمتع إلى علومهم النازلة فوراً من سماء حضرة سيد الأولين والآخرين؛ فإن الله عز وجل سيكرمك بعطاءات روحانية تستشقيها.

كذلك مما أمدَّ الله عز وجل به أهل بدر: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ) (١١ الأنفال)، سينزل عليك نعاس ناحية الشهوات والحظوظ والأهواء والدنيا الدنية، تخطر على بالك، و تشغل خيالك، و تتجه إليها، وإذا رأيتها ربما يراها غيرك وأنت تنظر إليها ولكن تراها، وتكون كما قال إمامنا رضى الله عنه:

وإن نظرت عيني إلى أي كائن تغيب المباني والمعاني سواطع

(وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ) من سماء العناية، ومن سماء الحضرة ا مدية مياه العلوم اللدنية، وهي وحدها التي تُطَهِّرُ القلب بالكلية من الأغيار لتؤهله لنزول الأنوار، وقف الإمام أبو العزائم رضى الله عنه أمام البحر الأبيض المتوسط - وكان في زمانه يُسمى بحر الروم - وقال له مخاطباً:

قليلك قد يُطهر كل جسمي يُطهر بحر روم كل رسمي
وقلبي تطهره بحار يُطهره العليُّ نبيل علم

ما العلم الذي يُطهر القلب؟ نرجع للرجل الخبير الذي قال الله لنا عنه في كتابه: (الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا) (٥٩ الفرقان) وهو أمر أن يقول لنا:

أنا الخبير فسلمي عنه أنبيك
واخلع سواه وكن صباية مغرمًا
وسلمي إلى العليا أرقبك
وبعه نفسك والأموال يعطيك

هذه شروط حتى يتحقق هذا المقام العلي، فقال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه: ((كما أن كل ماء لم ينزل من السماء ينفع، فكل علم لم ينزل من سماء فضل الله يرفع)). لو روينا الأرض بماء البرك فإن الزرع لن ينبت، ولو روينا الأرض بماء ملح فسيموت الزرع، لكن الذي يُنبت الزرع الماء النازل من السماء، كذلك العلم.

فالذي حفظ كتابين أو مجموعة كُتُب ووضعتها في صدره، هذا نُسميه عالم لكن نُسميه خزانة علم، أو مكتبة، ولذلك عندما يسأله أحد سؤال، ويسأله آخر نفس السؤال، وثالث، فإن الإجابة ستكون كأنها على شريط كاسيت، إجابة واحدة، وهذا ليس طريق العارفين، و طريق الالحين، و أئمة العلم النافع الذين يقول فيهم الله عزَّ وجلَّ في قرآنه الكريم: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) (٤٩ العنكبوت)، أوتوا العلم من حضرة العليم: (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (٦٥ الكهف)، أعطانا الدليل لكي نعرفهم.

إذا رأيت الرحماء، الذين عندهم تيسير بخلق الله، ورفق في الأعمال وفي السير والسلوك مع عباد الله، فتعرف أن هؤلاء معهم الرحمة الإلهية، ومعهم العلوم الوهيبية الإلهية. وإذا وجدت من يشق على الناس في العبادات، ويشدد عليهم في هذه الأعمال فاعلم أن هذا لم يزل إلى هذه المرحلة، هؤلاء نسميهم عبَّاد، يعبد الله حتى يأخذ الأجر والثواب عند الله، وله أجر وثواب عند الله إن شاء الله، لكن الفضل الإلهي للعلماء العاملين الذين يقول فيهم رب العالمين: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) (٤٩ العنكبوت).

هؤلاء العلماء الربانيين مثلهم مثل مطر السماء، فالمطر عبارة عن سحب يتجمع في السماء إلى أن يأخذ أمر من الله بأن ينزل في موضع قدره الله جلَّ في علاه، وإما أن تطفم سحابة بسحابة وشرارة موجبة بشاررة سالبة وينزل الماء، وإما أن يطفم بجبل فينزل الماء.

تشبيه بسيط والله المثل الأعلى: العلوم الوهيبية في سماء الحضرة امدية على الدوام، إلى أن تجد جبلاً في طريق الله عز وجل سمَّاه الله: (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) (٧ النبأ). كما أن جبال الدنيا يُثبت الله بها الأرض، فالالحين منهم جبال يُثبَّت الله بهم القلوب من الزيغ، ومن الشبهات، ومن الشهوات، ويجعلهم دائماً وأبداً متجهين إلى أكمل الخلق ﷺ، ليتأسوا به، وليحفظوا بفضل الله عزَّ وجلَّ. إذا تجمع حولهم ولو رجل فقير إلى عطاء الله، لسان حاله يقول ما قاله نبي الله موسى كليم الله: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) (٢٤ الق ص).

تجيش المعاني القرآنية، والإلهامات امدية في صدورهم، وتخرج منها على ألسنتهم على قدر سامعيهم وأحبابهم في هذا الوقت والحين، والذي ينزل هؤلاء غير الذي ينزل هؤلاء، لأن التنزل كله من فضل الله ومن تقدير الله جلَّ وعلا.

فَيَقِيضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ أَرَادَ الْوَصُولَ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ رَجُلًا صَالِحًا أَقَامَهُ اللَّهُ مَقَامَ الْعَبْدِ الْحَالِ الَّذِي أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلَ الْمَلَائِكَةِ وَأَتَمَّ السَّلَامِ، وَذَهَبَ مُوسَى إِلَيْهِ لِيُعَلِّمَنَا الْأَدَبَ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ: (هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا) (٦٦ الكهف)، لَمْ يَقُلْ (عَلِمًا) وَإِنَّمَا (رُشْدًا)، وَالرُّشْدُ عِلْمُ الْحَقَائِقِ الْبَاطِنَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَجَامِلَةٌ: (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَبْرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) - لَكِنْ أَدَبُ الطَّالِبِ قَالَ: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَ أَعْيَا لَكَ أَمْرًا) (٦٧: ٦٩ الكهف). مَنْ لَمْ يَبْرُ فِي صَحْبَةِ الْحَالِ فَلَيْسَ لَهُ فِي طَرِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْءٌ، لِأَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى الْبِرِّ الْجَمِيلِ، كَمُوسَى وَمَنْ هُوَ عَلَى شَاكِلَتِهِ، وَمَا أَدْرَاكُم بِمُوسَى نَبِيِّ اللَّهِ وَكَلِيمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلَ الْمَلَائِكَةِ وَأَتَمَّ السَّلَامِ.

فِيَتَلَقَى الْإِنْسَانَ مِنْهُ، وَهَذَا عِلْمٌ إِسْمُهُ عِلْمُ التَّلْقِي، وَهَذَا الْعِلْمُ الْخَاصُّ بِالتَّرْبِيَةِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَالَّذِي بِهِ التَّرْقِي إِلَى الْمَقَامَاتِ الْعُلُوبِيَّةِ، وَالْمَقَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْكَمَامَاتِ الْمَدِيَّةِ: (فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) (٣٧ البقرة) وَالرَّبُّ هُنَا الْمُرِي، وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نُفْرِحَ عَنْ أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ. عِلْمُ التَّلْقِي هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي بِهِ الرُّقْيُ، وَالَّذِي يَتَلَقَاهُ هَذَا غَيْرُ الَّذِي يَتَلَقَاهُ ذَاكَ، وَكَانَ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الْعِلْمِ يُسْمَحُ لِلبُضْعَةِ نَفْرٍ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ خُلُوتَهُ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِغَلْقِ الْبَابِ، وَعِنْدَمَا يَجْتَمِعُونَ يَقُولُ: (يَا اللَّهُ) فَمَنْ لَيْسَ مُؤَهَّلًا لِهَذِهِ الْعُلُومِ يَنَامُ وَيَسْمَعُ شَيْئًا، فَإِذَا انْتَهَى مِنْ بَيْتِهِ فِيهِمْ: (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ) (٨٦ يوسف) قَالَ: (يَا اللَّهُ) فَيَسْتَيْقِظُ!! كَمَا دَخَلَ يَخْرُجُ وَلَمْ يَسْمَعِ شَيْئًا، لِمَاذَا؟ يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَيُزْدِرِي وَأَخُونُ الْحَقِّ وَالِدِينِ

أَخْشَى عَلَى الدَّرِّ أَنْ يُلْقَى بِمِزْبَلَةٍ

وَتَجْمَلُوا بِالْحَالِ بِكَلَامِي

عَنِي خَدُوا مَا أَسْتَطِيعُ أَبْتَهُ

بِالْفَضْلِ نَاوَلَكُمْ رَحِيقَ مَدَامِي

وَتَجْمَلُوا بِالْحَالِ مِنْ بَابِ سَمَا

المهم الحال، والحال يحتاج إلى البث الروحاني، فإذا أكرمه الله بهذا التلقي: (وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِكُمْ بِهِ)، (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) (٢١ الإنسان)، يُطَهِّرُ الْقَلْبَ مِنَ الْأَغْيَارِ كُلِّهَا، وَالْأَغْيَارُ كُلُّ شَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ اللَّهَ يَرْضَى فِي الْقَلْبِ بِسِوَاهِ طَرَفَةِ عَيْنٍ وَ أَقْلٍ.

(وَيُذْهِبْ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) (١١ الأنفال)، يُذْهِبُ عَنْهُمْ كُلَّ الْوَسَاوِسِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَيَتَحَمَّلُونَ بِحُورِ الرَّحْمَنِ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْحِفْظِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ فِي الْقُرْآنِ: (قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (٦٤ يوسف).

(وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) (١١ الأنفال) فَلَا تَمِيلُ إِلَى الْبُوبِ، وَتَتَجَهَّزْ إِلَى اللَّهِ، وَتَمِيلُ بِشَوْقٍ وَ عَشْقٍ وَ غَرَامٍ وَ وِلَعٍ وَ هِيَامٍ إِسِيدِنَا رَسُولُ اللَّهِ، خَرَجْتَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ، قَالَ فِيهِمْ ﷺ: (يَوْمُنْ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ)°

بعد ذلك تنزل عليه ملائكة الإلهام: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيُّ مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) (١٢ الأنفال)، فَلَا يَتَحَرَّكُ حَرَكَةً وَ سَكْنَةً، وَ يَقُولُ قَوْلًا وَ يَفْعَلُ فِعْلًا إِسِيدِنَا مِنْ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ، حَتَّى

° معجم السفر وشرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

يرتفع إلى مقام أعلى يكون الإلهام فيه من حضرة النبي، أو إلى مقام أدنى وأعلى فيكون الإلهام من حضرة المولى العلي عز وجل.

فإذا انتبه فيك الحق على الباطل فإن كل يوم من أيامك هو يوم بدر، لأنك وصلت إلى هذا المقام، وصاحب هذا المقام بعد أهل بدر إلى آخر أيام الدنيا، يقول فيهم الحبيب المطفى ﷺ: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا لَمْ يَصُرَّهُ ذَنْبًا) ^٦. أي أنه لن يفعل ذنب لأنه أصبح محفوظ من الوقوع في الذنوب، وإذا وقع في الذنب فجأة يلهمه الله عز وجل فوراً بالتوبة، فيتوب عليه عز وجل. ... بادر عند اقتراف الذنب فوراً بالمتاب .. فإذا تاب وأتاب، (فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) (١٧٠ الفرقان).

(وإذا أشرقت أنوار القرآن على قلبك فكل ليلك ليل قدر)، الأجر والثواب ليلية القدر سيحظى به كل من أحيا العشر الأواخر من رمضان بملاة العشاء والفجر وفي الجماعة، لكن النفحات والإكرامات والعطاءات والهبات وأوها تنزل الملائكة، وتبادل الحديث والمكالمة والمخاطبة مع الملائكة، وهذا أمر مفتوح لأقوام على الدوام وليس فقط في رمضان، يقول فيهم الله: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)، لم يقل (تنزل) إنما قال: (تَنْزَلُ) أي باستمرار، (تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) والحوار الذي بينهم: (أَتَخَافُوا وَتَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) - رهن إشارتكم، وطوع أمركم - (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) - نحن في خدمتكم هنا في الدنيا - (وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ) (٣٠، ٣١ فلت).

أعلى الإكرام أن يحظى المرء في هذه الليلة بحقيقة ليلة القدر، وحقيقة ليلة القدر هي وجه الحبيب الأعظم ﷺ، لأن الله عز وجل قال: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (١ القدر)، وقال في الآية الأخرى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ) (١٩٣، ١٩٤ الشعراء) إذاً من ليلة القدر هنا؟ هو رسول الله ﷺ. فمن يرى حقيقة رسول الله فقد رأى ليلة القدر العظمى، المعظم نورها، والمعظم قدرها ومقدارها.

فإذا كان الإنسان لشدة صفاءه، وما توالى عليه من نور الله وبهاءه، وما وصله من عظيم ضياء الحبيب المطفى ﷺ و صفاءه، كل ليلة ينام فيجد الحبيب ﷺ، فتبح كل ليلة ليلة قدر.

سيدنا الإمام مالك رضى الله عنه يقول: ((ما بت ليلة إـ ورأيت رسول الله ﷺ في المنام))، فكل لياليه ليلة قدر، وما بالك بمن يغيب عنه ﷺ طرفه عين و أقل في ليل أو نهار؟! سيدي أبو الحسن الشاذلي وسيدي أبو العباس المرسي كان يقول أحدهم: ((بقي لي أربعين عاماً لو غاب عني ﷺ طرفه عين ما عددت نفسي من المؤمنين))، هذا أنفاسه كلها ليلة قدر، لأنه يرى الحبيب المطفى ﷺ، وهذه قال فيها الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

لم تغب يا طالب الحق المبين

شمسنا طه الحبيب المطفى

كيف يخفى نور رب العالمين

من يقل غابت فذاك لحجبه

^٦ الرسالة القشيرية وتاريخ بغداد عن أنس رضى الله عنه.

أشرقت الشمس في كل فرد في أمين، في الأفراد والأمناء بنورها، وإذا وصل الإنسان لهذا المقام فإن ليالي القدر عنده مستمرة على الدوام.

وهذه المقامات التي نريد أن نُعلِّي هممنا، ونرفع قدر طلباتنا عند الله حتى نل إليها، والله عزَّ وجلَّ يُعطي كل إنسان على قدر مراده، فالذي يطلب من الله مال (خمسة مليون مثلاً) و يريد شيئاً غيرها حتى الفردوس الأعلى، فيعطيه الله ما يريد (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا يُبْخَسُونَ) (١٥ هود)، لكن المؤمن بد أن تكون همته أعلى من ذلك، فيُعَلِّي همته، و يجعل همته للجنان و الرضوان، ولكن يجعل همته وجه الحنان المنان، ومعية النبي العدنان، و يجعل هذا منه على بال، و يجعل ذلك شغله الشاغل في كل وقت وحال، وإذا أصر على ذلك بد أن الله عز وجل يُؤَوِّله ذلك، المهم الإصرار، والإصرار له براهين في الأعمال.

نسأل الله عز وجل أن ينز لنا على أنفسنا نراً عزيزاً، وأن يجعل كل أيامنا أيام بدر، وأن يُظهر قلوبنا، و يُنفي نفوسنا، و يُهَيِّم أرواحنا، و يُعَلِّي ضياءنا وأنوارنا، حتى نتمتع بالنظر إلى وجه حبيبنا الأعظم ﷺ في كل ليلة، و يجعلنا من الناظرين إلى وجهه الأعلى في يوم الدين، و يُدخِلنا في قوله الكريم في كتابه المبين: (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (٢٢، ٢٣ القيامة)، وأن يتو لنا بو يته، وأن يرعانا بعنايته، وَا يكلنا إلى أنفسنا و إلى غيره طرفة عين و أقل، و أن يحفظ جوارحنا وأجسامنا من المعاصي والفتن، ما ظهر منها وما بطن، و يحفظ أنفسنا من الأهواء وزهرة الحياة الدنيا، و يحفظ قلوبنا من الأغيار، و يملؤها بخالص الأنوار، و يجعلنا دائماً وأبداً من عباده الأخيار الأبرار.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم